إعداد : ياسر السيد

العبادة ومفاهيمها

العبادة لها مفاهيم عديدة منها ما يلي : • تلبية الحبّ والتذلل لله تعالى؛ • العبادة هي التذلل إلى إله الكون الذي بيده كل شؤون الوجود • كل ما يكلفه الله تعالى من أعمال للعبد، و الابتعاد عن كل ما نهى عنه • كل الأمور التي يرضاها الله تعالى و يحبها. • الأفعال و الأقوال التي يقوم بها الإنسان ويرضى عنها الله وتكون ظاهرة للناس أو باطنة لا يعرف عنها إلا الذي قام بها. • شعور يكون ما بين الخوف والرجاء شروط العبادة لا تقبل العبادة إلا بشرطين:

الأول: الإخلاص: فلابد أن تكون أعمال الإنسان وعبادته خالصة لله سبحانه، لا يشرك مع الله أحداً، ولا يرجو ثناءً ولا مدحاً من أحد. قال عز وجل: ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء﴾ [البينة: 5]. وقال صلى الله عليه وسلم: (إنما الأعمال بالنيّات وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه) رواه البخاري.

الثاني: أن تكون عبادته على وفق ما شرعه الله ورسوله، فمن عبد الله بشيء لم يشرعه الله، فعبادته مردودة عليه غير مقبولة. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مَنْ أحْدَثَ في أمْرِنا هذا ما ليْسَ منه فَهُوَ رَدٌّ) متفق عليه.

أنواع العبادة أنواعها من حيث العموم والخصوص نوعان: 1. عبادة عامة: وهي تشمل عبودية جميع الكائنات لله عز وجل، يدخل فيها المؤمن والكافر والإنسان والحيوان، بمعنى: أن كل من في الكون تحت تصرف الله وقهره، قال عز وجل: ﴿إن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا﴾ [مريم: 93].

2. عبادة خاصة: وهي عبادة المؤمنين لربهم، وهي التي عناها الله عز وجل بقوله: ﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا﴾ [النساء: 36]. وهذه هي العبودية التي تحصل بها النجاة يوم القيامة . أنواع العبادات من حيث تعلقها بالعباد 1. عبادات اعتقادية:

وهذه أساسها أن تعتقد أن الله هو الرب الواحد الأحد الذي ينفرد بالخلق والأمر وبيده الضر والنفع ولا يشفع عنده إلا بإذنه، ولا معبود بحق غيره. ومن ذلك أيضا: الاعتقاد والتصديق بما أخبر الله تعالى عنه، كالإيمان بالملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر والقضاء والقدر في آيات كثيرة كقوله عز وجل: ﴿ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين﴾ [البقرة: 177]. 2. عبادات قلبية: وهي الأعمال القلبية التي لا يجوز أن يقصد بها إلا الله تعالى وحده، فمنها:

المحبة التي لا تصلح إلا لله تعالى وحده، فالمسلم يحب الله تعالى، ويحب عباده الذين يحبونه سبحانه، ويحب دينه، قال الله عز وجل: ﴿ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حباً لله﴾ [البقرة: 165]. ومنها التوكل: وهو الاعتماد على الله تعالى والاستسلام له، وتفويض الأمر إليه مع الأخذ بالأسباب، قال الله عز وجل: ﴿وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين﴾ [[الانبكيت على مائدة الطعام المائدة]]: 23]. ومنها الخشية والخوف من إصابة مكروه أو ضر، فلا يخاف العبد أحدا غير الله تعالى أن يصيبه بمكروه إلا بمشيئة الله وتقديره، قال الله عز وجل: ﴿فلا تخشوا الناس واخشون﴾ [[مائدة عيسى السماوية المائدة]]: 44]. 3. عبادات لفظية أو قولية: وهي النطق بكلمة التوحيد، فمن اعتقدها ولم ينطق بها لم يحقن دمه ولا ماله، فقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم: (أمِرْتُ أنْ أقاتِلَ النّاسَ حَتّى يَقُولُوا لا إلَهَ إلّا اللّهُ، فإذا قالُوها وَصَلّوْا صَلاتَنا وَاسْتَقْبَلُوا قِبْلَتَنا وَذَبَحُوا ذَبِيحَتَنا فَقَدْ حَرُمَتْ عَلَيْنا دِماؤُهُمْ وَأمْوالُهُمْ إلّا بِحَقِّها وَحِسابُهُمْ عَلى اللّهِ) رواه البخاري. [[دعاء]] غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله تعالى، سواء كان طلبا للشفاعة أو غيرها من المطالب، قال الله عز وجل: ﴿ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذا من الظالمين﴾ [يونس: 16].

4. عبادات بدنية: كالصلاة والركوع والسجود، قال الله عز وجل: ﴿فصل لربك وانحر﴾ [الكوثر: 2]. ومنها الطواف بالبيت، حيث لا يجوز الطواف إلا به، قال عز وجل: ﴿وليطوفوا بالبيت العتيق﴾ [[[تعريف الحج الحج]]: 29]. ومنها الجهاد في سبيل الله تعالى، قال عز وجل: ﴿فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما﴾ [النساء: 74]. وكذلك وسائر أنواع العبادات البدنية كالصوم والحج. 5. عبادات مالية: كإخراج جزء من المال لامتثال أمر الله تعالى به، وهي الزكاة. ومما يدخل في العبادة المالية أيضا: النذر، قال الله عز وجل: ﴿يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا﴾ [الإنسان: 7]. الملخص ان العبادة تتسع لتشمل حركة الانسان في الكون كخلفية لله في الارض وليعمر ارض الله ويستثمر ما وهبه الله من ملكات فيما يعود عليه ويفيض عن حاجته ليشمل من هم في حاجة

الرياء .. عادة مهلكة

كلمة الرياء مأخوذة من الجذر الثلاثي (رأى)، ويُؤخذ من هذا الجذر أيضاً: يرى ورؤية وبراني ومراءاة، ويقول صاحب لسان العرب: « وراءيت الرجل مراءاةً ورياءً: أريته اني على خلاف ما انا عليه. » [راجع: لسان العرب]. ويقول صاحب مقاييس اللغة: « وراءى فلانٌ يُراءي، وفعل ذلك رئاءَ الناس: وهو أن يفعل شيئاً ليراه الناس. » [راجع: مقاييس اللغة]. والرياء: هو أن يعمل المسلم عملاً لا يقصد منه وجه الله سبحانه وتعالى، وإنما يكون قصده أن يراه الناس ويمتدحوه ويثنوا عليه، فيصلي ليراه الناس ويقولوا أن هذا رجل صالح مواظب على الصلاة، ويتصدق ليراه الناس ويقولوا أن هذا رجل كريم وجواد، ويجاهد ليراه الناس ويقولوا ان هذا رجل مقدام وشجاع، ويتعلم العلم حتى يراه الناس ويقولوا انه رجل عالم وحامل للشهادات العليا. إنّ الرياء هو نوع من الشرك، ويسمى بـ (الشرك الأصغر)، حيث قال الرسول صلى الله عليه وسلم: « إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر. قالوا: وما الشرك الأصغر؟ قال: الرياء، يقول الله عز وجل لأصحاب ذلك يوم القيامة إذا جازى الناس: اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤون في الدنيا، فانظروا هل تجدون عندهم جزاء؟! » [صححه الألباني]. وقال أيضا صلى الله عليه وسلم: « من سمّع سمّع الله به، ومن راءى راءى الله به. » [متفق عليه]. يقول الإمام النووي في شرحه للحديث: « قال العلماء: معناه: من رأيا بعمله الناس وسمّعه الناس ليكرموه ويعظموه ويعتقدوا خيره، سمّع الله به يوم القيامة الناس وفضحه... وقيل: معناه: من أراد بعمله الناس أسمعه الله الناس وكان ذلك حظه منه. » [راجع: شرح النووي على مسلم]. والفرق بين من يُراءي ومن يُسمّع كما جاء في الحديث، أنّ الرياء هو يقصد المرء رؤية الناس في الأعمال التي تصدر منه فيمتدحوه، أما التسميع فهو أن يخطب خطبة ما، أو أن يعظ موعظة ما، أو أن يقرأ القرآن، حتى يسمعه الناس فيُعجبوا به ويثنوا عليه، ولا يريد من هذا وجه الله تعالى، فجزاؤه أن يفضحه الله يوم القيامة، أو أن يعطيه نصيبه من ذلك العمل في الدنيا، ويوم القيامة لا ينال شيئاً. والرياء هو سبب في إحباط العمل وعدم قبوله عند رب العالمين، فهناك شرطان أساسيان لا ثالث لهما يجب أن يتوفرا في الأعمال التعبدية التي يقوم بها المسلم حتى تكون صحيحة ومقبولة عند رب العالمين. أما الشرط الأول: أن يكون العمل موافقاً لما جاء في شريعة الله من الكتاب والسنة. والأمر الذي كان عليه المؤمنون في القرون الأولى، فلا يجوز للمسلم أن يأتي بعمل تعبدي لا أصل له في الدين، أو أن يزيد ويُنقص في عبادات معينة، وإنما يجب عليه أن يتبع شرع الله، وسنةَ رسول الله، وأن يأتي بالعبادات كما هي. وأما الشرط الثاني: أن يكون العمل خالصًا لوجه الله تعالى، فمخالفة الشرط الأول تعني الوقوع في البدعة، ومخالفة الشرط الثاني تعني الوقوع في الرياء والنفاق. فلا ينفع المسلم أن يعمل عملاً يوافق الكتاب والسنة، ولكنه غير خالص لوجه الله، وكذلك لا ينفعه أن يكون عمله خالصًا لوجه الله، ولكنه مخالف لما في الكتاب والسنة، والأشد من ذلك كله أن يخل بكلا الشرطين، فلا يكون عمله موافقًا للكتاب والسنة، وفي نفس الوقت لا يكون خالصًا لوجه الله! فيجب على كل مسلم أن يحذر من الرياء والنفاق، وأن يحرص على أن تكون كل أعماله خالصة لوجه الله تعالى، لا يبتغي بها رؤية الناس له ومديحهم وثناءهم.

غار حراء .. مهبط الوحي

ارتبطت عدّة معالم وأماكن بالتاريخ الإسلامي منذ ولادة رسول الله الأعظم محمّد -صلى الله عليه وسلم- إلى يومنا هذا، فهذه المعالم كان لها الأثر الكبير في التأثير بمسيرة الإسلام العظيمة كونها احتضنت أحداثاً مهمة وحساسة جداً كان لها الأثر الكبير على التاريخ الإسلامي كاملاً. هبوط الوحي في غار حراء من أبرز المعالم التي ارتبطت بالأحداث الإسلامية العظيمة غار حراء، وهذا الغار هو الذي شهد مهبط الوحي للمرة الأولى على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حيث كان المكان الذي يلجأ إليه الرسول الكريم من أجل التفكر في الكون وأحوال الدنيا، حاله كحال باقي الأنبياء الذي لجأوا إلى إعمال عقولهم وإلى التأمل قبل أن يفتح الله تعالى عليهم بفتحه الواسع الكريم. في المرة الأولى الذي هبط الوحي فيها على سيدنا محمد، كان الوحي المتمثل برسول الله الملك جبريل -عليه السلام- بآيات قرآنية كريمة، قال تعالى: «اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق، اقرأ وربك الأكرم، الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم». كانت هذه الآيات الكريمة أوّل ما نزل من القرآن الكريم على قلب الرسول العظيم في غار حراء، لهذا فإنّ قدسية هذا المكان ليس كمثلها قدسية. موقع غار حراء يقع غار حراء في الجهة الشرقية من مدينة مكة المكرمة، على الجهة اليسرى لمن يقصد جبل عرفة، ويقع غار حراء في قمة الجبل المعروف باسم جبل النور، أو باسم جبل الإسلام. إذ يقدّر ارتفاع هذا الغار بنحو ستمئة وأربعة وثلاثين متراً تقريباً، كما أنّه يبعد حوالي أربعة كيلو مترات تقريباً عن المسجد الحرام في مدينة مكة المكرمة. غار حراء هو فجوة صغيرة جداً في الجبل المذكور مسبقاً، إذ يتجه باب هذه الفجوة نحو الجهة الشمالية، ويبلغ طولها تقريباً حوالي أربعة أذرع، أما عرضها فيقدر بنحو الذراع وثلاثة أرباع الذراع تقريباً، ويمكن لحوالي خمسة أشخاص أن يجلسوا في داخل هذا الغار معاً في آن واحد، ومن هنا فإنّ احتمالية الجلوس في نفس الموضع الذي كان يجلس فيه رسول الله الكريم -صلى الله عليه وسلم- مرتفعة جداً بسبب صغر المكان وضيقه الشديد. من يدخل إلى غار حراء يتجه مباشرة نحو الكعبة المشرفة في المسجد الحرام، أمّا من يقف على الجبل فبإمكانه أن يرى مكة المكرمة كاملة مع أبنيتها، ولهذا فقد كانت هذه الأسباب من الأسباب المهمّة التي دفعت بالرسول الكريم -صلى الله عليه وسلم- إلى اختيار هذا المكان دوناً عن باقي الأماكن للتأمل والتفكر وإعمال العقل.

معركة ذات الصواري

أصيب الروم بضربة حاسمة في إفريقية، وتعرضت سواحلهم للخطر بعد سيطرة الأسطول الإسلامي على سواحل المتوسط من ردوس حتى برقة، فجمع قسطنطين بن هرقل أسطولا بناه الروم من قبل، فخرج بألف سفينة لضرب المسلمين ضربة يثأر لها لخسارته المتوالية في البر، فأذن عثمان رضي الله عنه لصد العدوان، فأرسل معاوية مراكب الشام بقيادة بسر بن أرطاة، واجتمع مع عبد الله بن سعد بن أبي السرح في مراكب مصر، وكانت كلها تحت أمرته، ومجموعها مائتا سفينة فقط، وسار هذا الجيش الإسلامي وفيه أشجع المجاهدين المسلمين ممن أبلوا في المعارك السابقة؛ فقد انتصر هؤلاء على الروم من قبل في معارك عديدة، فشوكة عدوهم في أنفسهم محطمة، لا يخشونه ولا يهابونه، على الرغم من قلة عدد سفنهم إذا قيست بعدد سفن عدوهم.

خرج المسلمون إلى البحر وفي أذهانهم وقلوبهم إعزاز دين الله وكسر شوكة الروم.

أسباب معركة ذات الصواري

ولقد كان لهذه المعركة التاريخية أسباب، منها [1]:

1 – الضربات القوية التي وجهها المسلمون إلى الروم في إفريقية.

2 – أصيب الروم في سواحلهم الشرقية والجنوبية بعد أن سيطر المسلمون بأسطولهم عليها.

3 – خشية الروم من أن يقوى أسطول المسلمين فيفكروا في غزو القسطنطينية.

4 – أراد قسطنطين بن هرقل استرداد هيبة ملكه بعد الخسائر المتتالية بّرا، وعلى شواطئه في بلاد الشام ومصر وساحل برقة.

5 – كما أراد الروم خوض معركة ظنوا أنها مضمونة النتائج، كي تبقى لهم السيطرة في المتوسط، فيحافظوا على جزره، فينطلقوا منها للإغارة على شواطئ بلاد العرب.

6 – محاولة استرجاع الإسكندرية بسبب مكانتها عند الروم، وقد ثبت تاريخيا مكانة سكانها لقسطنطين بن هرقل ملك الروم.

أين وقعت هذه معركة ذات الصواري؟

وهذا السؤال لم يجد المؤرخون له جوابا موحدا؛ فالمراجع العربية لم تحدد مكانها، باستثناء مرجع واحد على ما نعلم صرح بالمكان بدقة، وآخر قال اتجه الروم إليه.

المصادر والمراجع الإسلامية

– في «فتح مصر وأخبارها» [2] ذكر الكتاب خطبة عبد الله بن سعد بن أبي السرح وقال: قد بلغني أن هرقل قد أقبل إليكم في ألف مركب. ولم يحدد مكان المعركة.

– «الطبري» [3] في أخبار سنة 31هـ، ربط حدوث ذات الصواري بما أصاب المسلمون من الروم في إفريقية، وقال: فخرجوا في جمع لم يجتمع للروم مثله قط.

– ولم يذكر «الكامل في التاريخ» [4] مكان الموقعة أيضا، ولكنه ربط سبب وقوعها بما أحرزه المسلمون من نصر في إفريقية بالذات.

– وفي «البداية والنهاية» [5]: فلما أصاب عبد الله بن سعد بن أبي السرح من أصاب من الفرنج والبربر بلاد إفريقية، حميت الروم واجتمعت على قسطنطين بن هرقل، وساروا إلى المسلمين في جمع لهم لم ير مثله منذ كان الإسلام؛ خرجوا في خمسمائة مركب وقصدوا عبد الله بن سعد بن أبي السرح في أصحابه من المسلمين ببلاد المغرب.

– «تاريخ الأمم الإسلامية» [6] لم يذكر مكان الموقعة أيضا [7].

ورجح الدكتور شوقي أبو خليل أن المعركة كانت على شواطئ الإسكندرية، وذلك للأسباب التالية:

– كتاب «النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة» يذكر صراحة: غزوة ذات الصواري في البحر من ناحية الإسكندرية [8].

– تاريخ ابن خلدون يذكر [9]: ثم بعث ابن أبي السرح السرايا ودوخ البلاد فأطاعوا وعاد إلى مصر، ولما أصاب ابن أبي السرح إفريقية ما أصاب، ورجع إلى مصر خرج قسطنطين بن هرقل غازيا إلى الإسكندرية في ستمائة مركب.

– ربطت المراجع العربية التي لم تحدد موقع المعركة بين حدوث المعركة وبين ما خسره الروم في شمال إفريقية بالذات.

– الأسطول الرومي صاحب ماض عريق، فهو سيد المتوسط قبل ذات الصواري، فهو أجرأ على مهاجمة السواحل الإسلامية، ولذلك رجح الدكتور شوقي أبو خليل مجيء الأسطول الرومي إلى شواطئ الإسكندرية لاستعادتها بسبب مكانتها عند الروم، ومكانة أهلها لملكهم السابق، وهو بذلك يقضي أيضا على الأسطول الفتي في مهده، الذي شرع العرب في بنائه بمصر، فتبقى للروم السيطرة والسطوة في مياه المتوسط وجزره.